ب - أحمد شوقى

أعماله :

الشـــوقيـــــات أربعة أجزاء صدر الجزء الأول منها بمقدمة بقلم الشاعر سنة ١٩٠٠

المسرح الشعرى :

على بك الكبير

قمبيز

مجنون ليلى

مصرع كليوباترة

أميرة الأندلس

الست هدى

البخيلة

الرواية :

دل ويتمان

ورقة الآس

لاديسياس

عذراء الهند

النثر الفنى :

شيطان بنتاءور

أسواق الذهب

أيها النيل

إلى الاستاذ مرجليوث مدرس اللغة العربية فى جامعة اكسفورد

أيها الاستاذ الكريم

تذكرت " أثينا " مدينة الحكمة فى الدهور الخالية . وأياماً غنمناها على رسومها العافية وأطلالها البالية . فكأنى أنظر إلى المؤتمر : علماؤه الهالة وأنت القمر. أو زمر الحجيج وأنت حادى الزمر . وأرى الملوك فى الحفر . بنيانهم مصدوع الجدر . وبيانهم نور البشر . نزلنا بهم فاذا الدول خبر . وإذا الممالك أثر . والطلول شغل الفؤاد والبصر . منا العبرات ومنها العبر . صمت الإنسان ونطق الحجر . فسبحان العزيز المقتدر . القاهر فوق عباده بالقدر . كان ذلك والحوادث أجنة . والأمور فى أحسن الأعنة . والأرض بالسلم مطمئنة . مغتبطة بسلامة الشباب . منبسطة بتلاقى الأحباب . والصفو فى الدار والأكدار بالباب . ثم أخذ الله الأمم بذنوبهم فرماهم بعوان فى الماء . ضروس فى الأرض والسماء . منهومة بالأموال مدمنة للدماء . نزلت بالبرية فعصفت بأحسن شبابها ونباتها . ونقصت موفور أمنها وأقواتها . وهتكت فى الثرى مصون رفاتها . وخلطت فى الخنادق أحياءها بأمواتها وعدت على الوحش فى فلواتها . وعلى الطير فى وكناتها . وعلى الرياح فى مخترقاتها . وعلى علم البحار وأحواتها . وهوام القفار وحشراتها . وعلى بيوت الله فى سنراتها . والنواقيس فى قبابها . والمآذن فى سماواتها : فسبحان الملك الأكبر . الذى يقهر ولا يقهر . ويغير ولا يتغير . والذى يقيم القيامة فى ميقاتها .

الشعر كالأحلام تدخل على المسرور الكرى . وتكثر على المحزون فى السرى . وقريحة الشاعر كعين صاحب الأيام عندها للحزن عبرة وللسرور عبرة . وهذه أيها الأستاذ الكريم كلمة قيلت والهموم سارية ، والأقدار بالمخاوف جارية . والدماء والدموع متبارية . وذئاب البشر يقتتلون على الفانية . نظمتها تغنياً بمحاسن الماضى وتقييداً لمآثر الآباء . وقضاء لحق " النيل " الأسعد الأمجد ونسبتها إليك عرفاناً

لفضلك على لغة العرب وما أنفقت من شباب وكهولة فى إحياء علومها ونشر آدابها وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر ، فى أعظم جامعات العالم ، فلعلها تقع إليك فنتذاكر على النوى تلك الأيام ، ونتنادم من بعد على بساط الأدب والكلام ، ونسأل الله أن يحقن الدماء ويقيم جدار السلام .

من أى عهد فى القرى تتدفق ... وبأى كف فى المدائن تُغدق
ومن السماء نزلت أم فُجِّرت من ... عُليا الجنان جداولاً تترقرق
وبأى عين أم بأية مزنة ... أم أى طوفان تفيض وتفهق
وبأى نولٍ أنت ناسج بردة ... للضفتين جديدها لا يخلق
تسود ديباجاً إذا فارقتها ... فإذا حضرت اخضوضر الاستبرق
فى كل آونة تبدل صبغة ... عجباً وأنت الصابغ المتأنق
أتت الدهور عليك مهدك مترع ... وحياضك الشُّرُق الشهية دُفَّق
تسقى وتطعم لا إناؤك ضائق ... بالواردين ولا خوانك ينفق
والماء تسكبه فيُسبك عسجداً ... والأرض تغرقها فيحيا المغرق
تعيى منابعك العقول ويستوى ... متخبط في علمها ومحقق
أخلقت راووق الدهور ولم تزل ... بك حمأة كالمسك لا تتروق
حمراء في الأحواض إلا أنها ... بيضاء في عنق الثرى تتألق
دين الأوائل فيك دين مروءة ... لم لا يؤله من يقوت ويرزق
لو أن مخلوقاً يؤلّه لم تكن ... لسواك مرتبة الألوهة تخلق
جعلوا الهوى لك والوقار عبادة ... إن العبادة خشية وتعلق
دانوا ببحر بالمكارم زاخر ... عذب المشارع مده لا يلحق
متقيد بعهوده ووعوده ... يجرى على سنن الوفاء ويصدق
يتقبل الوادى الحياة كريمة ... من راحتيك عميمة تتدفق
متقلب الجنبين فى نعمائه ... يعرى ويصبغ فى نداك فيورق
فيبيت خصباً فى ثراه ونعمة ... ويعمه ماء الحياة الموسق
وإليك بعد الله يرجع تحته ... ماجُنف أو مامات أو ماينفق

أين الفراعنة الأولى استذرى بهم (عيسى) و(يوسف) و(الكليم) المصعق
المورِدون الناس منهل حكمة أفضى إليه الأنبياء ليستقوا
الزافعون إلى الضحى آباءهم فالشمس أصلهمو الوضى المعرق
وكأنما بين البلى وقبورهم عهد على أن لا مساس وموثق
فحجابهم تحت الثرى من هيبة كحجابهم فوق الثرى لا يخرق
بلغوا الحقيقة من حياة علمها حجب مكثفة وسر مغلق
وتبينوا معنى الوجود فلم يروا دون الخلود سعادة تتحقق
يبنون للدنيا كما تبنى لهم خرباً غراب البين فيها ينعق
فقصورهم كوخ وبيت بداوة وقبورهم صرح أشم وجوسق
رفعوا لها من جندل وصفائح عمداً فكانت حائطاً لا ينتق
تتشايع الداران فيه فما بدا دنيا وما لم يبد ، أخرى تصدق
للموت سر تحته وجداره ستور على السر الخفي وخندق
وكأن منزلهم بأعماق الثرى بين المجلة والمخِلة فندق
موفورة تحت الثرى أزوادهم رحب بهم بين الكهوف المطبق

ولمن هياكل قد علا الباني بها بين الثريا والثرى تتنسق
منها المشيد كالبروج وبعضها كالطود مضطجع أشم منطق
جدد كأول عهدها وحيالها تتقادم الأرض الفضاء وتعتق
من كل ثقل ، كاهل الدنيا به تعب ووجه الأرض عنه ضيق
عال على باع البلى لا يهتدى مايعتلى منه وما يتسلق
متمكن كالطود أصلا في الثرى والفرع في حرم السماء محلق
هي من بناء الظلم إلا أنه يبيض وجه الظلم منه ويشرق
لم يرهق الأمم الملوك بمثلها فخراً لهم يبقى وذكراً يعبق
فتنت بشطيك العباد فلم يزل قاص يحجهما ودان يرمق
وتضوعت مسك الدهور كأنما في كل ناحية بخور يحرق
وتقابلت فيها على السرر الدمى مستردیات الذل لا تتفنق
عطلت وكان مكانهن من العلى (بلقيس) تقبس من حلاه وتسرق

وعـــلا عليـــهن التـــراب ولم يـــكن ... يزكوبهـــن ســـوى العبـير ويلبـَق
حـــجراتهـــا مـــوطـــوءة وستـــورها ... مهتـــوكة بيـــد البـــلى تتخـــرق
أودى بـــزينتهـــا الزمان وحـليها ... والحســـن بـــاق والشـــباب الريـق
لو رُدَّ فـــرعـــون الغـــداة لراعـــه ... أن الغـــرانيق العلـــى لا تنطـــق
خلـــع الزمـــان على الـــورى أيامه ... فاذا الضـــحى لك حصـــة والرونق
لك مـــن مواسمـــه ومـــن أعـــياده ... ماتحـــسر الأبصـــار فيـــه وتبـــرق
لا (الفـــرس) أوتـــوا مثلـــه يوماً ولا ... (بغداد) فى ظل (الرشيد) و (جلـق)
فتـــح الممـــالك أو قيـــام (العجل) أو ... يـــوم القبـــور أو الزفـــاف المونـق
كـــم مـــوكب تتـــخايل الدنيـا به ... يُجـــلى كما تجـــلى النجوم وينسـق
(فـــرعون) فيـــه من الكتائب مقبل ... كالســـحب قرن الشمـــس منها مفتق
تعـــنو لعـــزته الوجـــوه ووجهـــه ... للشمـــس فـــي الآفـــاق عان مطرق
أبـت مـن السـفر البعيـد جنـــوده ... وأتتـــه بالفتـــح السعيـــد الفيـــلق
ومـشى الملوك مصفدين ، خدودهم ... نعـــل لفـــرعون العظيـــم ونمـــرق
مملـــوكة أعناقهـــم ليميـــنه ... يأبـى فيضـــرب أو يمـــن فيعتـــق
ونجيبـــة بـين الطفولـــة والصبـــا ... عـــذراء تشربـــها القلـــوب وتعلـق
كان الزفـــاف اليـــك غـــا ية حظها ... والحـــظ إن بـــلغ النهايـــة مويـق
لاقـــيت أعراســـاً ولاقـــت مأتمـاً ... كالشيـــخ ينعـــم بالفتـــاة وتزهـــق
فـــى كل عـــام درة تلـــقى بـــلا ... ثـــمن إليـــك وحـــرة لا تُصـــدق
حـــول تســـائل فيـــه كل نجيبة ... سبقـــت إليـــك متـــى يحول فتلحق
والمجـــد عـــند الغانيـــات رغيبـــة ... يُبغـــى كما يبغـــى الجمال ويعشـــق
إن زوجـــوك بـــهن فـــهى عقيـــدة ... ومـــن العقائـــد مايلب ويـــحمـــق
ما أجـــمل الإيمـــان لولا ضـــلة ... فـــى كل ديـــن بالـــهداية تلصـــق
زفـت إلـــى ملك الملـــوك يحثـــها ... ديـــن ويدفعهـــا هـــوى وتشـــوق
ولربمـا حســـدت عـــليك مكانهـا ... ترب تمســـح بالعـــروس وتحـــدق
مجلـــوة فـــى الفـــلك يحدو فلكها ... بالشاطـــئين مزغـــرد ومصـــفـــق
فـى مهرجـــان هـــزت الدنيـــا به ... أعطافهـــا واختـــال فيـــه المشرق
فـــرعون تحـت لوائـــه ، وبناتـه ... يـــجرى بهـــن على السفـين الـزورق

حتى إذا بلغت مواكبها المدى ... وجرى لغايته القضاء الأسبق
وكسا سماء المهرجان جلالة ... سيف المنية وهو صلت يبرق
وتلفتت فى اليم كل سفينة ... وأنثال بالوادى الجموع وجدقوا
ألقت إليك بنفسها ونفيسها ... وأتتك شيقة حواها شيق
خلعت عليك حياءها وحياتها ... أأعز من هذين شىء ينبق
وإذا تناهى الحب وأتفق الفدى ... فالروح فى باب الضحية أليق
ما العالم السفلى إلا طينة ... أزلية فيه تضىء وتغسق
هى فيه للخصب العميم خميرة ... ينذى بما حملت اليه ويبثق
ماكان فيها للزيادة موضع ... وإلى حماها النقص لا يتطرق
منبثة فى الأرض تنتظم الثرى ... وتنال مما فى السماء وتعلق
منها الحياة لنا ومنها ضدها ... أبداً نعود لها ومنها نخلق
والزرع سنبله يصيب وحبه ... منها فيخرج ذا وهذا يفلق
وتشد بيت النحل فهو مُطنَّب ... وتمد بيت النمل فهو مروق
وتظل بين قوى الحياة جوائلا ... لا تستقر دوائلا لا تمحق
هى كلمة الله القدير وروحه ... فى الكائنات وسره المستغلق
فى النجم والقمرين مظهرها إذا ... طلعت على الدنيا وساعة تخفق
والذر والصخرات مما كورت ... والفيل مما صورت والخرنق
فتنت عقول الأولين فألهوا ... من كل شىء ما يروع ويخرق
سجدوا لمخلوق وظنوا خالقاً ... من ذا يميز فى الظلام ويفرق
دانت (بأبيس) الرعية كلها ... من يستغل الأرض أو من يعزق
جاءوا من المرعى به يمشى كما ... تمشى وتلتفت المهاة وترشق
داج كجنح الليل زان جبينه ... وضح عليه من الأهلة أشرق
العَسْجد الوهاج وشى جلاله ... والورد موطىء خفه والزنبق
ومن العجائب بعد طول عبادة ... يؤتى به حوض الخلود فيغرق
يالَيت شعرى هل أضاعوا العهد أم ... حذروا من الدنيا عليه وأشفقوا
قوم وقار الدين فى أخلاقهم ... والشعب ما يعتاد أو يتخلق
يدعون خلف الستر آلهة لهم ... ملأوا الندىّ جلالة وتأبقوا

وأستحجبوا الكهان ، هذا مبلغ ... مايهتفون به وذاك مصدق
لا يُسألون إذا جرت الفاظهم ... من أين للحجر اللسان الأذلق
أو كيف تختترق الغيوب بهيمة ... فيما ينوب من الأمور ويطرق
وإذا همو حجوا القبور حسبتهم ... وفد (العتيق) بهم ترامى الأينق
يأتون (طيبة) بالهَدِيّ أمامهم ... يغشى المدائن والقرى ويطبق
فالبر مشدود الرواحل محدج ... والبحر ممدود الشراع موسق
حتى إذا القوا بهيكلها العصا ... وفوا النذور وقربوا وأصدقوا
وجرت زوارق بالحجيج كأنها ... رقط تدافع أو سهام تمرق
من شاطىء فيه الحياة لشاطىء ... هو مضجع للسابقين ومرفق
غربوا غروب الشمس فيه وأستوى ... شاه ورخ في التراب وبيدق
حيث القبور على الفضاء كأنها ... قطع السحاب أو السراب الديسق
للحق فيه جولة وله سناً ... كالصبح من جنباتها يتفلق
نزلوا بها فمشى الملوك كرامة ... وجثا المدل بماله والمملق
ضاقت بهم عرصاتها فكأنما ... ردت ودائعها الفلاة الفيهق
وتنادم الأحياء والموتى بها ... فكأنهم في الدهر لم يتفرقوا

أصل الحضارة في صعيدك ثابت ... ونباتها حسن عليك مخلق
ولدت فكنت المهد ثم ترعرعت ... فأظلها منك الحفي المشفق
ملأت ديارك حكمة ، مأثورها ... في الصخر والبردى الكريم منبق
وبنت بيوت العلم باذخة الذرى ... يسعى لهن مغرب ومشرق
واستحدثت ديناً فكان فضائلا ... وبناء أخلاق يطول ويشهق
مهد السبيل لكل دين بعده ... كالمسك رياه بأخرى تفتق
يدعو إلى بر ويرفع صالحاً ... ويعاف ماهو للمروءة مخلق
للناس من أسراره ماعلموا ... ولشعبة الكهنوت ماهو أعمق
فيه محل للأقانيم العلى ... ولجامع التوحيد فيه تعلق
تابوت موسى لا تزال جلالةً ... تبدو عليك له وريا تنشق
وجمالُ يوسف لا يزال لواؤه ... حواليك في أفق الجلال يرنق

ودموع إخوته رسائل توبة ... مسطورهن بشاطئيك منمق
وصلاة مريم فوق زرعك لم يزل ... يزكو لذكراها النبات ويسمق
وخطى المسيح عليك روحاً طاهراً ... بركات ربك والنعيم الغيدق
ودوائع (الفاروق) عندك دينه ... ولواؤه وبيانه والمنطق
بعث الصحابةَ يحملون من الهدى ... والحق مايحيى العقول ويفتق
فتح الفتوح من الملائك رَزْدَق ... فيه ومن (أصحاب بدر) رزدق
يبنون لله الكنانة بالقنا ... والله من حول البناء موفق
أحلاس خيل بيد أن حسامهم ... فى السلم من حذر الحوادث مقلق
تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم ... جيش من الأخلاق غاز مورق
فى الحق سل وفيه أغمد سيفهم ... سيف الكريم من الجهالة يفرق
والفتح بغى لا يهون وقعه ... إلا العفيف حسامه المترفق
ماكانت "الفسطاط" إلا حائطاً ... يأوى الضعيف لركنه والمرهق
وبه تلوذ الطير فى طلب الكرى ... ويبيت "قيصر" وهو منه مؤرق
"عمرو" على شطب الخصير معصب ... بقلادة الله العلى مطوق
يدعو له "الحاخام" فى صلواته ... (موسى) ويسأل فيه عيسى البطرق
يانيل أنت بطيب مانعت "الهدى" ... وبمدحة (التوراة) أحرى وأخلق
وإليك يهدى الحمد خلق حازهم ... كنف على مر الدهور مرهق
كنف "كمعن" أو كساحة "حاتم" ... خلق يودعه وخلق يطرق
وعليك تجلى من مصونات النهى ... خود عرائس خدرهن المهرق
الدر فى لباتهن منظم ... والطيب فى حبراتهن مرقرق
لى فيك مدح ليس فيه تكلف ... أملاه حب ليس فيه تملق
مما يحملنا الهوى لك أفرخ ... سنطير عنها وهى عندك ترزق
تهفو اليهم فى التراب قلوبنا ... وتكاد فيه بغير عرق تخفق
ترجى لهم ، والله جل جلاله ... منا ومنك بهم أبر وأرفق
فاحفظ ودائعك التى استودعتها ... أنت الوفى إذا اؤتمنت الأصدق
للأرض يوم والسماء قيامة ... وقيامه "الوادى" غداة تحلق

وقـــال :

مقاديـــر من جفنيـــك حـــوان حاليا ... فـذقت الهوى مـن بـعدما كنت خاليا
نفـذن عـلى اللـب بالسهـم مرسلا ... وبالسحر مقضيـاً وبالسيف قاضيا
وألبســنني ثـــوب الضنـــى فلبسته ... فأحـبب بـه ثوبـاً وإن ضـم بـاليا
ومـــا الحـــب إلا طاعـــة وتجـــاوز ... وإن أكثـــروا أوصافـــه والمعانـــيا
ومـاهـــو إلا العـــين بالعـــين تلتقى ... وإن نوعـوا أسبابـــه والـدواعـــيا
وعـــندى الـــهوى موصوفه لا صفاته ... إذا سألـــونى ما الهـوى قلت مابـيا
وبـــى رشـــأ قـد كان دنياى حاضرا ... فغـــادرنى أشتـــاق دنيـــاى نائـيا
سمـحت بـروحى فى هواه رخيصـة ... ومـــن يهـــو لا يؤثر على الحب غاليا
ولم تجـر ألفـاظ الوشـــاة بريبـــة ... كهـذى التى يجرى بها الدمع واشيا
أقـــول لمن ودعـت والركـــب سـائر ... برغـم فـؤادى ســـائر بفـــؤاديا
أمانـاً لقلبى مـن جفونك فى الهوى ... كفى بالهـوى كأساً وراحا وساقـيا
ولا تجعلـيه بـــين خـــديك والنـــوى ... من الظلـم أن يغـدو لنارين صالـيا
ولم ينـــدمل من طعنـة القد جرحه ... فرفقـــاً مـن طعنـــة البـــين داميا

وقال

مضنـاك جفـاه مرقـده ... وبـكاه ورجَّـم عـــوده
حـيران القـلب معـذبـه ... مـقروح الجـفن مسهده
أودى حـرقاً إلا رمـقـاً ... يبقيـــه عليـك وتنفـده
يستهـوى الـورق تأوهـه ... ويـــذيب الصـخر تنهده
ويـنـاجى النجـم ويتعبـه ... ويقيـم الليـل ويقعـده
ويعلـــم كل مـــطوقـة ... شجناً في الدوح تـردده
كم مـــد لطيفك من شرك ... وتـــأدب لا يتصـــيده

فعساك بغمض مسعفه ... ولعل خيالك مسعده
الحسن حلفت بيوسفه ... و(السورة) إنك مفردة
قد ود جمالك أو قبساً ... حوراء الخلد وأمرده
وتمنت كل مقطعة ... يدها لو تبعث تشهده
جحدت عيناك زكى دمى ... أكذلك خدك يجحده
قد عز شهودى إذ رمتا ... فأشرت لخدك أشهده
وهممت بجيدك أشركه ... فأبى واستكبر أصيده
وهززت قوامك أعطفه ... فنبا وتمنع أملده
سبب لرضاك أمهده ... مابال الخصر يعقده
بينى فى الحب وبينك ما ... لا يقدر واش يفسده
ما بال العاذل يفتح لى ... باب السلوان وأوصده
ويقول تكاد تجن به ... فأقول وأوشك أعبده
مولاى وروحى فى يده ... قد ضيعها سلمت يده
ناقوس القلب يدق له ... وحنايا الأضلع معبده
قسماً بثنايا ، لؤلؤها ... قسم الياقوت منضده
ورضاب يوعد كوثره ... مقتول العشق ومشهده
وبخال كاد يحج له ... لو كان يقبل أسوده
وقوام يروى الغصن له ... نسباً والرمح يفنده
وبخصر أو هن من جلدى ... وعوادى الهجر تبدده
ماخنت هواك ولا خطرت ... سلوى بالقلب تبرده

تجربة نقدية ٢ :

أيها النيل .. رحلة فى تاريخ النيل . مضمونية معنوية دلالية بليغة . تبدأ بحديث حول النيل والعطاء والمكانة المقدسة لدى قدماء المصريين كمحور أول . ثم ينتقل إلى الفراعنة مجدهم وتاريخم كمحور ثان . ومنه إلى معابدهم وآثارهم وأهراماتهم كمحور ثالث . ثم يبدأ من البيت الثالث والخمسين حديث الأعياد والأيام . كمحور رابع . وينتقل منه إلى حديث الحياة الأخرة والطمى كمحور خامس فى البيت الحادى والثمانين . ثم يبدأ فى الحديث عن الأديان منذ البيت الثانى والتسعين كمحور سادس . وينتقل إلى الحضارة كمحور سابع فى البيت السابع عشر بعد المائة . ويحتوى على الأديان السماوية موسى وعيسى ومحمد حتى تنتهى القصيدة . فى مائة وثلاثة وخمسين بيتاً .

هنا نحن مع قصيدة "معرفية" تتكىء على أحداث التاريخ .. ولها سابقات منها "كبار الحوادث فى وادى النيل" . ونحن مع شاعر على بينة بالتاريخ القديم وله فيه تجارب شعرية وأخرى مسرحية .. فمن المسرحية قمبيز وعلى بك الكبير ومصرع كليوباتره وأميرة الأندلس وعنترة . ويبقى له الإجتماعيتان الست هدى والبخيلة .. وعلى هذا نحس بأثر المعرفة التاريخية الموثقة فى معارفه .

يتميز شوقى بدءاً بأنه يسير خطوة أكثر تقدماً من البارودى فيما يتعلق "بالكلاسيكية" يبدأ بتساؤلات : من أى عهد ...؟ وبأى كف ..؟ ومن السماء نزلت ...؟ وبأى عين ..؟ أم أى طوفان ..؟ وبأى نول ..؟ وهذا استفهام تعجبى خرج عن معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى يفيد التعجب من كافة المسؤلات .. وهذا الأسلوب متكرر كثيراً فى القصيدة فى الأبيات : العاشر والثانى والعشرين والسادس والثلاثين والسادس والخمسين والثالث بعد المائة . والرابع بعد المائة .

وفضلاً عن أسلوب الاستفهام التعجبى . فهناك أسلوب الشرط المتناثر : البيت الرابع عشر . الثامن والستين . الخامس والسبعين . والثمانين . والخامس بعد المائة . الثامن بعد المائة .

بالإضافة إلى أساليب كثيرة أخرى . الاستعارية والمجازية والتشبيهات البسيطة والبليغة .. والمقابلة والمطابقة وأنواع متفرقة من أساليب البديع .

مزية هامة تميز أحمد شوقى فى هذه القصيدة أنه مدقق فى الوصف ربما لدقة معارفه التاريخية واللغوية والعربية .

محاور البناء المضمونى :

محور أول : ضفاف النيل : يقع هذا المحور فى واحد وعشرين بيتاً يتناول عدداً من العناصر المتصلة بمنابع النيل .. وتحول الضفتين إلى اخضرار ، وخيره الذى يفيض على الجانبين . والطمى . والمكانة بين المخلوقين حوله . ومبررات تأليهه . وفى المحور نجد دائرة مفردات طبيعية تتسق مع المضمون .

القرى – المدائن – السماء – الجداول – عين – مزنة – طوفان – الضفتين – اخضوضر – صبغة – حياضك – تسقى – الواردين – الماء – الأرض – المغرق – منابعك – الأحواض – الثرى – بحر – عذب المشارع – الوادى – يورق – خصبا – ثراه – ماء الحياة .

وهذه المفردات تشكل دائرة الطبيعة .

على أننا نلحظ دائرة أخرى تدخل فى محور فرعى آخر هو "النسيج" :
نول – ناسج – بردة – ديباجاً – الاستبرق – صبغة – عسجداً .

وهناك دائرة العبادة" :

السماء – الجنان – العقول – علمها – محقق – خلقت – دين الأوائل – دين مروءة –يؤله – مخلوقاً – يؤله – الألوهة – تخلق – عبادة – العبادة – خشية – الله .

والدوائر اللغوية تشى بحركة التفكير والتأثيرات الموروثة والمستحدثة . هذا فضلاً عن طبيعة المعجم اللغوى . والمتغير الدلالى له .

محور ثان : فى المقطوعة الثانية (الفراعنة) . نقف على عدد من الأفكار تكشف عنها أيضاً دوائر المعنى من خلال المنظور اللغوى الدلالى :

دائرة الحياةوالموت : البلى – قبور – الثرى – حياة – حجب – سر – الوجود – الخلود – الدنيا – خرباً – البين – قبورهم – عمداً – الداران – دنيا – أخرى – الموت – أعماق – الثرى – الكهوف .

وهذه دائرة مسيطرة حتى تبدو بقية المفردات فى المقطوعة موظفة لها ، لاتستقل بذاتها . كى تكون دائرة أخرى . وكما تلاحظ فإن أكثرية المفردات تدور فى فلك لغوى دلالى واحد . مقصود لذاته حيث أن الفكرة هى أكثر الأفكار تردداً فيما يتعلق بالعبادة الفرعونية . وربما نجد لدى شوقى إدراكاً لحقيقة هامة فيما يتعلق بالفراعنة وهى حقيقة اهتمامهم بالمقابر والمعابد دون المنازل والقصور . وهذا يعطى دلالة هامة عن درجة الإهتمام الكبير بالحياة الآخرة .. والتى يظن العامة من المثقفين خطأ أن دفن بعض حاجيات المتوفى معه دليل على الإيمان بالبعث والعودة للحياة فلابد من وجود حاجياته الخاصة كى يستعملها وقتها وهذا تصور ساذج فلا أظن أنهم يضعون بعض الشعير والقمح والجبن القريش والخبز لهذا الغرض ولا أظنهم من السذاجة بحيث يتصورون أن هذه الأشياء ستبعث معهم "طازجة" كى تستخدم فى الطعام .. حتى لو كان بعثهم يتم فى فترة قصيرة .. وإن هو إلا تقليد أن يدفن مع الميت حاجاته وأشياؤه الخاصة .. ولازالت هذه العادة قائمة لدى شعوب كثيرة حتى الآن (فقصورهم كوخ وبيت بداوة) وهذا فى مقابل (وقبورهم صرح أشم وجوسق) .

محور ثالث : وفى المقطوعة الثالثة (الهياكل) . والتى تبدأ مع البيت رقم ٢٦ حيث تستغرق المقطوعة الأولى واحداً وعشرين بيتاً ، وتستغرق الثانية أربعة عشر بيتاً . بينما تستغرق المقطوعة الثالثة سبعة عشر بيتاً . دائرتها المحور : دائرة الهياكل :

هياكل – البانى – الثريا – الثرى – البروج – الطود – مسيد – أشم – تتقادم – ثقل – عال – الطود – بناء – السرر – الدمى – حجراتها – ستورها – البلى –.

وهذه مفردات لم يغرق الشاعر فى وصف أرجاء الهياكل المختلفة ، الأهرامات وأبى الهول والمعابد المختلفة على الرغم من معرفته بآثار الأقصر ونحوها .

والمحاور الثلاث السابقة تشى بعناصر ترتيب فكرى غير مسبوق ، وحسن تخلص من محور إلى آخر .. وهو تخلص من مضمون وتخلص من شكل لغوى ينتقل بعده إلى مضمون جديد ومعجم مغاير يلائم حركة التطور المضمونى المتناسق مع التتابع المختلف للعناصر الفكرية البنائية .

ومنذ **المحور الرابع** : المواسم والأعياد : فتح الممالك – قيام العجل – يوم القبور – الزفاف المونق .

ونحن نشعر بانسيابية الطبع دون الصنعة التى بدت مسيطرة خاصة فى المحور الأول – وكأن مضمون وشكل النص يبدأ فى التشابك بعد مرحلة من التحاور والجدل . ربما يشترك فيها المتلقى كطرف بدليل كثير من المآخذ الشكلية والمضمونية فى المحور الأول تبدأ حدتها فى الخفوت بعد برهة من التجريب وانسياب المعانى فى المحاور التالية . وهو مانلحظه فى هذا المحور بالذات الذى يبدو فيه شوقى أكثر تألقاً مع نفسه ، ومع تجربته الشعرية والوجدانية .

وهو محور ينتقل من صفات النيل و"قراعنته" وهياكله" إلى مواسمه وأعياده .. وفى مقدمته داخل المحور المكونة من تسعة أبيات (من الثالث والخمسين حتى الحادى والستين) نقف على عدد من المفردات :

مواسم . أعياد . تبرق . يوما . موكب . تتخايل . يجلى . النجوم . الأفاق .

وهى دائرة لغوية تختلط بأحد الأعياد وهو المذكور أولاً "فتح الممالك " الذى نعثر فيه على دائرة لغوية :

فتح – الممالك – موكب – فرعون – الكتائب – قرن – السفر – جنوده – الفيلق – الملوك – مصفدين – نعل – مملوكة – يعتق – يضرب .

ومع ضرورة التناسق بين الدوائر اللغوية فى المحور الواحد . إلا أننا مع التداخل الحادث وهو التداخل المؤدى لعلاقات التناسق المختلفة فى المحور المؤدية إلى علاقات تناسق فى النص كله . إلا أننا نلحظ أحياناً نوعاً من التنافر الجزئى بين الوحدات اللغوية منذ البدايات الدائرية الأولى حتى التكوين النسقى الكلى . ولا تبدو هذه الفكرة واضحة إلا فى مجال التطبيق .

وفى **المحور الخامس** : المتمركز فى مضمون الأبيات منذ الثانى والستين حتى الثمانين ، نقف عند واحد من أكثر مقطوعات شوقى رونقاً ودلالة إيجابية متوافقة الصور والاستخدامات اللفظية المعجمية والدلالية للمفرد .

"ونجيبة بين الطفولة والصبا" تسعة عشر بيتاً متماسكة الصور والمعانى لايسهل تلخيصها أو البحث وراء المحاور المضمونية فيها . أو الوقوف عند بعض أجزائها دون بعض . فكل بيت وكل مقطع يحمل دلالة مضمونية تمزج بين الحدث الأسطورى يوم الزمان" وبين الحكمة . بعد أن اختار من المواسم والأعياد"فتح الممالك" و"الزفاف المونق" ثم "يوم القبور" الذى سيأتى بعد .

والدائرة اللغوية المسيطرة تبدو فى المفردات :

نجيبة – طفولة – صبا – عذراء – الزفاف – الحظ – أعراسا – درة – حرة – تصدق – الغانيات – الجمال – يعشق – زوجوك – زفت – هوى – تشوق – ترب – العروس – مجلوة – مزغرد – مصفق – مهرجان – اعطافها – اختال – بناته – نفسها – نفيسها – شيقة – شيق – خلعت – خياء – حياة .

ولقد تنوعت طرائق التعبير ووسائله .. فالأبيات الأولية فى المقطوعة تقريرية تشى بمصداقية الحدث عند الشاعر أو هو لايريد أن يسأل .. لاتعجباً ولا استفهاماً وكأنه لايريد لأدنى شك أن يتسرب لنفس أحد حول الحدث المونق المبهر الذى يبدو من طرائق التعبير عنه أنه معجب به تماماً . حتى نصل إلى البيت السابع (رقم ٦٨ فى القصيدة) الذى يحدد فيه سبب قناعته بحدوث الحدث حيث أن بعض الروايات تشير إلى اسطوريته ولاحقيقته . ويصوغ الحقيقة فى أسلوب شرط تقريرى . "إن زوجوك بهن فهى عقيدة" وهى عبارة تؤكد حقيقة ماذهبنا إليه إلى أن شوقى يميل إلى تحويل الحدث إلى حقيقة حتى وإن لم يكن كذلك فى الحقيقة فى بعض الروايات .. وربما كان هناك إضطرار أن يعلق بأنه "من العقائد مايلب ويحمق" أو أنه "ضلة" تشوب الإيمان والتى أظنها اعتذارة لطيفة عن إعجابه الشديد بالحدث ودليلنا على ذلك أن هذا المدخل كما سيأتى والذى كان أيضاً تعليقاً على مافات وهو فى الشطر الثانى من البيت الثامن والستين ثم البيت التاسع والستين كله (ومن العقائد مايلب ويحمق) . و(ماأجمل الإيمان لولاضلة فى كل دين بالهداية تلصق) لم يحول الشاعر عن الحدث . بل إستغله ليحرر نفسه من قيود محاولة تصنيف الحدث تصنيفا إيمانيا وهو المعجب بصورته على النحو الذى تخيله .. بدليل أن هذا المقطع بالذات يعد من أجمل ماكتب فى الشعر الحديث على إطلاقه حول هذا الحدث إذا كانت هناك محاولات فى هذا المجال سابقة أو لاحقة ولا أظن ذلك حتى عندما انصرف على محمود طه إلى الجندول والنهر الخالد ونحوها لم يلفت نظره حدث "عروس النيل" كما شغل شوقى وملك عليه خياله .

"والمجد عند الغانيات رغيبة" . "زفت إلى ملك الملوك"
. "مجلوة فى الفلك" "بالشاطئين مزغرد ومصفق" . " فى مهرجان هزت الدنيا به أعطافها" . ألقت إليك بنفسها ونفيسها" "خلعت عليك حياءها وحياتها" .

هذه عبارات تؤكد ماذهبنا إليه أن شوقى كان يود طرح قضية الاعتراض على الحدث جانباً ، حتى ينطلق فى التعبير المثير عن الحدث المبهر الذى يشكل فى تصورى أبهى نموذج تصويرى فى القصيد الحديث برمته .

ملحوظة تعترض السياق :

المنهج النقدى الذى أزعم تبنيه ومحاولة تطبيقه كإسهامة فى صنع نظرية نقد عربية حديثة .. لايؤمن "بنثر النص" أى أنه لايلجأ فى محاولة الكشف عن جماليات المعنى والشكل إلى الشرح النثرى للمضمون لأنه يؤمن أن الناقد لو نجح فى صنع ذلك لقدم دليلاً على ضعف النص الشعرى المنقود . ذلك أن الشعر الرفيع يدخل "المتلقى" فى صياغة جمالياته الشكلية والمضمونية على السواء . ولكى يستكشف معانيه ودلالاته فعليه معاودة قراءته مرة أخرى كما هو . لأنه لايتحول إلى غير الشكل الذى ظهر عليه .. وهذا وجه آخر من أوجه حبكة الآداء التصويرى فى القصيدة .

والذى يفعله النقد يجب أن ينصرف إلى محاولة مساعدة المتلقى على اكتشاف جماليات النص . بوضع يده على عناصر تكوينه ، محاولة اكتشاف أسباب الجمال فى التعبير .. مستخدماً أحدث ما فى العصر من نظريات نقدية تتعلق "ببناء النص" . أو "لغته" أو "أسلوبه" أو "علاقات السياق "فيه . أو "دلالة مفرداته" .. أو كما تقول "البنيوية" Structnalism علاقات النظام الفكرى الحادث من تداخل معارف العصر فى صنع المضمون والشكل الفنى المستخدم بعد اكتشاف حقائق "وحدة العلاقات" و"نسقها" ومحاورها الرأسية المتعلقة "بالثابت"والأفقية المتعلقة "بالمتغير" أو العكس وفقا لمنظورات رؤية : المبدع – النص – المتلقى .

والمحور السادس : يخلص من المحور السابق بمتعلق "الروح" و"الضحية" و"هي فيه الخصب العميم خميرة" .. وهذا التفسير يحاول به أيضاً امتاع المتلقى بقيمة "الزفاف المونق" وظاهرة التضحية" تبدو كعناصر عقيدية أخرى قاسماً مشتركاً أعظم فى كثير من العقائد السماوية أو الوصفية .. نجدها فى ديانات الجزيرة قبل الإسلام على شكل (قربان) ورد ذكره فى القرآن الكريم (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) ونجده فى المانوية والكونفوشية والهندوسية وفى المسيحية واليهودية والإسلام .. وفى عقائد القبائل الإفريقية (الله فى السواحيلية Mungo وقد تبدو وحداتها الصرفية مشتقة من المنجى) . وهدف "الروح" هدف يكاد يكون مرتبطاً "بالضحية" . بالخميرة فى جميع العقائد الوضعية والسماوية . بمايكاد يجعلها ذات مصدر معرفى واحد .

ودائرة اللغة فى المحور السادس :

طينة - الخصب - خميرة - الثرى - الزرع - سنبل - يغلق - النحل - النمل - الحياة

مرتبطة بدائرة أخرى تستخدم المفردات : العالم السفلى - الحياة - نعود - نخلق - تشيد - تمد - تظل - كلمة الله - روحه - الكائنات - النجم - القمرين - كورت - صورت - الأولية - الهوا - يروح - سجدوا - مخلوق - خالقاً .

وهذه الدائرة المختصة بالخلق والحياة والخالق ترتبط بالدائرة الأولى فى علاقات تجمعها دلالات مفردات مشتركة أو تمد علاقاتها بنظائر دلالية لها فى الدائرة الأخرى .

وفى المحور السابع : يخص "العبادة" بالتصوير بعد تخلص فى البيت الثالث والتسعين . ليستغرق الفترة من البيت الرابع والتسعين حتى السادس والتسعين

حتى السادس عشر بعد المائة . تمحوراً حول : عبادة آبيس – طقوس العبادة وهى وحدة أولى فى المحور تقف عند البيت الرابع بعد المائة . ينتقل إلى وحدة ثانية حول "يوم القبور" يستغرق الأبيات من الخامس بعد المائة حتى السادس عشر بعد المائة (اثنا عشر بيتاً) .

دائرة اللغة :

الرعية – الأهلة – جلاله – عبادة – الخلود – العهد – الدين – آلهة – الكهان – الغيوب .

وهذه دائرة تختص بالعبادة ومايدور فى دائرتها من مفردات . فى الوحدة الأولى . أما الوحدة الثانية (١٠٥ – ١١٦)

حجوا – القبور– وفد– العتيق – الهدى – هيكلها – النذور – قربوا – اصدقوا – الحجيج – الحياة – القبور – الملوك – جثا – الأطباء – الموتى .

وهى دائرة مكملة للمحور اللغوى فى الوحدة الثانية من المحور السابع .

وشعر "الحكمة" لازال ملحاً على الشاعر نجده في كثير من المقاطع قد يكون من المناسب عرض مارأيناه سابقاً منذ المحور الأول حتى لاتفلت هذه اللمحة من السياق:

لم لايؤله من يقوت ويرزق . ١٣

إن العبادة خشية وتعلق . ١٥

والحظ إن بلغ النهاية موبق. ٦٣

والمجد عند الغانيات رغيبة . ٦٧

ومن العقائد ما ويحمق . ٦٨

وإذا تناهى الحب واتفق الفدى .. فالروح فى باب الضحية أليق ٨٠

والشعب مايعتاد أو يتخلق ١٠٠

وفى المحور الثامن : (الحضارة) .

فى هذه المجموعة من الأبيات (١١٧ – ١٥٣) انتقال من مظاهر الحضارة : حكمة . علم . دين . إلى تعاقب المفردات المتعلقة بالعقيدة .. ماقبل الأديان السماوية ثم موسى ويوسف . وعيسى . وفتح عمرو لمصر . تنتثر أبيات الحكمة :

والحق مايجى العقول ويفتق . ١٣٢

سيف الكريم من الجهالة يفرق ١٣٧

هذا بالإضافة إلى "المضمون" الحكمى الذى لايتلخص فى (شطر) أو يتكثف فى عبارة .

والأبيات المشكلة للمحاور الثمانية . تتلاقى دوائرها فى أكثر من خط بيانى يحتاج إلى محاولة يمكن أن تتعامل مع :

.. دلالة المفرد اللغوى على المعنى المراد ومدى دقة التعبير .

(نموذج الأبيات الأولى فى القصيدة .. وعلاقات المعانى فى المحاور الأخرى).

.. درجة تردد بعض المفردات وإشارات الإحصائيات المختلفة التى يمكن أن تكشف عن درجات تردد كل مفرد على حدة .

.. نوعية الحروف الأكثر تردداً فى النص وعلاقة ذلك باختيارات الموسيقى الحادثة عن غير الوزن العروضى .. وهو مايعرف باسم "الموسيقى الداخلية" الناجمة عن علاقات الحروف ومخارجها الصوتية ودرجات البعد والقرب من بعضها البعض .

.. نوعية الأفكار المطروحة ومدى توافقها مع النسق الأيديولوجى للبيئة من ناحية . ومدى توافقها مع اختيارات المفردات والحروف من غاية ثانية . أو بمعنى آخر جذور الأفكار .. عنصر (١) ثم طرائق التعبير .. عنصر (٢) .

خلاصة الرأى :

فى القصيدتين السابقتين اتفاق فى المنظور التعبيرى وعلاقته بالموروث من ناحية والحداثى من ناحية أخرى . فى البدء نحت فى الصخر ثم انطلاق إلى مايتوافق مع الطبيعة الشاعرة . وجدها البارودى فى الحنين وشكوى الدهر ووجدها شوقى فى (الزفاف المونق) .

تبدو قدرة شوقى التعبيرية والتصويرية أكثر رقة وتمكناً من قدرة البارودى .. ربما لأن شوقى كان من حيث الثقافة الموروثية والغربية واللغوية والتاريخية أكثر تمكنا ودراية وقدرة على التوافق مع المتغير الثقافى المحيط به .

* * *